مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 9 العدد 1 / جويلية 2023
ص ص 88-104

مدينة القسطنطينيّة قُبيْل العهد العثمانيّ من خلال رحلة "نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار" للحاج عبد الله بن الصبّاح الأندلسيّ

The City of Constantinople Prelude the Ottoman Era Through the Travelogue "Nasab al-Akhbar wa Tadhkirat al-Akhyaar" by Hajj Abdullah Ibn al-Sabbah al-Andalusi

نذير بلحاج[1]*، محمّد زرمان[2]

[1] جامعة باتنة 1، مخبر الموسوعة الجزائريّة الميسّرة (الجزائر)

nadhir.belhadj@univ-batna.dz

[2] جامعة باتنة 1، مخبر الموسوعة الجزائريّة الميسّرة (الجزائر)

mohamed.zermane@univ-batna.dz

الاستلام: 2022/10/22 القبول: 2023/06/25 النشر: 2023/07/31

ملخص:

يُعَدُّ أدب الرحلة – فضلا عن كونه مصدرا من مصادر المتعة والجمال – أحدَ أبرز المصادر المكتوبة في معرفة الناس لأحوال حواضر العالم وإنجازاتها الماديّة والمعنويّة، غير أنّ ما وَرد فيه من معارفَ يحتاجُ توصيفًا ونقْدًا لتأكيدِ الصحيح منها وشرحهِ، معَ نَفيِ أو تصحيح الخاطئ.

وهذا البحث يندرج ضمن هذا المجال؛ حيث سعينا فيه إلى عرضِ وتوصيفِ ما ورد حول مدينة القسطنطينيّة في رحلة "نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار" لابن الصبّاح الأندلسيّ، ثمّ نقده بالاستنادِ على بعضِ آليّات منهج النقد التاريخيّ. وهدفُنا من ذلك كان فهمَ وتحديد مدى صحّة ما أورده ابن الصبّاح من مضامين مُرتبطة بمدينة القسطنطينيّة، وذلك بعد التعريف به وبرحلته.

هذا وقد تمّ التوصّل في نهاية البحثِ إلى تأكيد بعض تلك المضامين واعتبارها إضافة معرفيّة يقدّمها أدب الرحلة، كما تمّ نفي صحّة مضامينَ أخرى مع تصحيحها في بعضِ المواضع، فضْلا عمّا ساهم به البحث من زيادة معرفتْنا بابن الصبّاح الأندلسيّ، وردّ الاعتبار له لكونه واحدًا من أكثر الرّحّالين العرب قطعا للمسافات.

الكلمات المفتاحية: القسطنطينيّة؛ أدب الرحلة؛ ابن الصبّاح الأندلسيّ؛ رحلة "نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار".

Abstract:

The travel literature – in addition to being a source of pleasure and aesthetic - is considered as a very rich written source if one wants to know about the conditions of societies and civilizations and their material and moral achievements.

The present work falls within this field, as we sought to present and describe what was mentioned about the city of Constantinople in the travelogue "Nasab al-Akhbar wa Tadhkirat al-Akhyaar" by Ibn al-Sabbah al-Andalusi, and then critique it based on some mechanisms of historical criticism. Our aim was to understand and determine the validity of the content

* المؤلف المراسل

mentioned by Ibn al-Sabbah related to the city of Constantinople, following an introduction to him and his travelogue.

At the end of the research, some of the content was confirmed and considered a knowledge contribution provided by travel literature. However, other content was refuted and corrected in certain areas. Additionally, the research contributed to increasing our knowledge of Ibn al-Sabbah al-Andalusi and acknowledging him as one of the most prolific Arab travelers in terms of covering distances.

Keywords: Constantinople; travel literature; Ibn al-Sabbah al-Andalusi; travelogue "Nasab al-Akhbar wa Tadhkirat al-Akhyaar".

1.مقدمة:

يعدُّ أدب الرحلة العربيّ – زيادةً على كونه مصدرا للمتعة والجمال – أحد أهمّ المصادر المكتوبة المساهمة في التعرّف على أحوال المُدن وسُكانها ومُنجزاتها الحضاريّة أثناء زيارة الرحالين لها. ومَدينة القسطنطينيّة واحدَة من تلك المُدنِ التي تكرّر ذكرها كثيرا في أدب الرحلة العربيّ، وهي المدينة التي زارها الرّحالة ابن الصبّاح الأندلسيّ في الفترة التي سبقت الفتح العثمانيّ لها بعقود معدودة، والتي نقل لنا بعض ما جرى له فيها عبر رحلته الموسومة بـ"نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار".

ودراسَتنا هذ تتمحور حول هذه الرحلة؛ وتحديدا حول ما ورد فيها من مضامين حول مدينة القسطنطينيّة، مُنطلقين فيها من دلالات الإشكاليّة الآتية:

ما مدى صحّة ما أورده ابن الصبّاح الأندلسيّ في رحلته الموسومة بـ"نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار" حول مدينة القسطنطينيّة؟

وهذه الإشكاليّة استدعت منّا الاعتماد على بعض آليّات المنهج الوصفيّ وبعض آليّات منهج النقد التاريخيّ، وهو ما تطلّب – بدوره – التعرّف على مدينة القسطنطينيّة وتاريخها العامّ، ثمّ التطرّق لشخصيّة ابن الصبّاح ورحلته وقضايا كتابتها وتحقيقها، وتاريخ سفره إلى القسطنطينيّة، فضلا عن متطلّبات أخرى كان هدفها جميعا الوصول إلى تقييمِ مدى صحّة المضامينِ الواردة حول القسطنطينيّة ومقاربتها للوقائع الفعليّة.

وإذا كانت الدراسات المتمحورة حول مضامين أدب الرحلة العربيّ كثيرة، فإنّ المهتمّين بما ورد في هذا الأدب حول مدينة القسطنطينيّة – حسب اطّلاعنا – قلائل، ولعلّ أبرزهم المحقّق والباحث "المهدي عيد الرواضيّة"؛ والذي حقّق عددا من الرحلات التي زار أصحابها القسطنطينيّة، كما كتب عددا من المقالات التي لم يذكُر فيها رحلة ابن الصبّاح إلى عَرَضًا، أمّا المهتمّون بهذه الرحلة تحديدا فيبرز في مطلعهم "جمعة شيخة"؛ محقّق الرحلة نفسها، و"مصطفى علوي"؛ كاتب مقال "قراءة في رحلة المدجّن الحاج عبد الله بن الصبّاح" ... وغيرهما ممّن بحث في الرحلة بشكل عامّ دون أن يخصّص دراسته على ما ورد في الرحلة من مضامين تخصّ مدينة القسطنطينيّة.

هذا وقد تمّ تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة أقسام أساسيّة؛ حيث خُصِّص القسم الأوّل منها للتعريف بمدينة القسطنطينيّة ومدى حضورها في أدب الرحلة العربيّ، أمّا القسم الثاني فتمحور حول التعريف بابن الصبّاح وشخصيّته، وحول جودة تحقيق رحلته ومضامينها، وأسلوب كتابتها، لنتمكّن بعد ذلك في القسم الثالث من نقد ما ورد حول مدينة

القسطنطينيّة في الرحلة عنصرا بعنصر، وتأكيد ونفي وتصحيح ما أمكن من معلومات تحقيقا للأهداف المرجوّة من هذا البحث.

2. مدينة القسطنطينيّة:

مدينة القسطنطينية واحدة من أشهر مدن العالم عبر التاريخ، ويكفي لبيان شهرتها ومكانتها أن نذكر أنّها كانت عاصمة للإمبراطوريّة البيزنطيّة المسيحيّة على مدار أحد عشر قرنا بالتقريب، وعاصمة للإمبراطوريّة العثمانيّة الإسلامية لفترة تقارب الخمسة قرون.

ولشهرتها الواسعة فقد حملت تسميات كثيرة منها بعض ما ذكره (لويس، 1982، صفحة 11) (Lewis Bernard) من أسماء مثل: "ميكالاغارد" أو "ميكيل غارث" (Myklagaard or Micklegarth) وتعني البرج العظيم، و"بيزنطة" (Byzantium)، و"قسطنطينوبولس" (constantinupolis) وتعني مدينة القسطنطين الذي أنشأها وجعلها عاصمة لإمبراطوريته الجديدة سنة 330م...، أمّا عند العرب، ففضلا عن بعض ما سبق، فقد سُمّيت بأسماء كثيرة يتعوّد عليها قارئ المؤلّفات التاريخيّة والرحلات العربية كتسمية "إسلامبول"، و"إسطنبول"، و"إستنبول"، و"الآستانة" ... غير أنّ الاسم الأكثر شيوعا في المؤلفات العربيّة القديمة ـ وبشكل غالب ـ كان اسم "القسطنطينيّة"، وهي حاليّا تُعرف باسم "اسطنبول".

وبالنظر إلى الخرائط فإنّنا نجد أنّ للقسطنطينية موقعا متميّزا، فهي قديما بمثابة الحدّ الفاصل بين الحضارتين الشرقيّة والغربيّة، أمّا الآن فتعتبر مدينة عابرة للقارات؛ إذ إنّ جزءها الشرقيّ آسيويّ، أمّا الغربي فأوروبيّ، ويفصل بينهما مضيق البوسفور الذي يربط البحر الأسود وبحر مرمرة، فالبحر يحيط بها من جهات عديدة .

كما كان يحيط بالمدينة أيضا سور متين كان أحد أهمّ الفاعلين في الدفاع عنها طوال القرون، ولكبره فقد طالت وصفه بعض المبالغات كما نجد عند (الزُهريّ، د.ت، صفحة 84.83) الذي ذكر أنّ للمدينة سبعة أسوار محيطة بها، يدخلها الرجل فيتيه داخلها ولا يكاد يجد مخرجا.

أمّا عن تاريخها السياسيّ فيمكن إيجازه بالقول أنّ القسطنطينيّة مرّت بثلاث حقب أساسيّة هي: حقبة الحكم المسيحيّ، وحقبة الحكم الإسلاميّ العثمانيّ، وحقبة الجمهوريّة التركيّة الحاليّة.

فالحقبة الأولى بدأت – كما تذكر (إسماعيل ، 1989، صفحة 160) – بتدشين المدينة من قبل الإمبراطور الرومانيّ قسطنطين (Constantinus) سنة 330م، "ومنذ ذلك الحين أصبحت القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية، ثمّ عاصمة بيزنطة أو الإمبراطورية الرومانية الشرقيّة" (مانسيل، 2015، صفحة 10)، وعلى مدار القرون الآتية تعرّضت القسطنطينيّة لمحاولات غزو كثيرة "من جانب الفرس والبدو، وحاصرها المسلمون أكثر من مرّة، وفي عام 1204م غزا أفراد من الحملة الصليبيّة الرابعة المدينة وألحقوا أضرارا بأجزاء كثيرة منها. وحكم الصليبيون المدينة حتى عام 1261م، عندما أعاد الحكام البيزنطيون الاستيلاء عليها" (الشويخات و آخرون، 1999، صفحة 769)، وحُكْمَهَا حتّى سنة 1453م.

وكما هو معروف، فإنّ حقبة الحكم الإسلاميّ للمدينة بدأت حين قام السلطان

العثمانيّ محمّد الثاني بفتحها سنة 1453م في حدث استثنائيّ هزّ العالم آنذاك، فـ"بدأ العشق العثمانيّ للمدينة الذي دام حتّى العام 1924م، حين غادر آخر السلاطين العثمانيين – عبد المجيد – تركيا منفيا في قطار الشرق السريع" (مانسيل، 2015، صفحة 11)، لتدخل المدينة عهدا جديدا تحت حكم الجمهوريّة التركيّة وتصير تابعة للعاصمة التركيّة أنقرة حتى وقتنا الحاليّ.

3. الرحلات العربيّة إلى مدينة القسطنطينيّة:

نظرا لعظمة هذه المدينة، وشهرتها، وتاريخها العريق، وأهمّيتها الاستراتيجيّة، وحتى الدينيّة، فقد وفد إليها وتحدّث عنها عشرات الرّحالين العرب، بل إنّها كانت منتهى وجهة كثير منهم، وهذا التوافد جعلها - حسبما ذكر (الرواضية، 2006، صفحة 878،879) – تحتلّ الرتبة الثالثة ضمن الوجهات الأكثر ذكرا في أدب الرحلة العربيّ بعد كلّ من مكّة والمدينة اللّتين جعلهما في رتبة واحدة، وبعد القدس.

فبعيدا عمّن زار القسطنطينيّة ولم يترك لنا مؤلّفا رحليّا يذكرها فيه، وبعيدا عن المؤلّفات الرحليّة التي ذكرت القسطنطينيّة دون أن يكون لأصحابها رؤية عيانيّة لها وهي كثيرة، وبعيدا عن الرحّالين الذين تركوا مؤلّفات لكنّها ضاعت ولم تصلنا إلّا أخبارها أو نُتف منها، – بعيدا عن هذا وذاك - فقد استطعنا أن نطّلع على 35 رحلة قديمة وحديثة، ونتأكّد من ذكرها للقسطنطينيّة بعد حدوث زيارة فعليّة لها (يُنظر الملحق 1)، والظاهر للعيان أنّ فترة العثمانيّين في المدينة قد استحوذت على القسم الأكبر من الرحلات، خصوصا إذا قارنّاها بفترة الحكم البيزنطيّ، وأسباب هذا التباين في عدد الرحلات العربيّة نحو القسطنطينيّة عبر الحقب كثيرة، منها سهولة الدخول إليها بعد الفتح، إضافة إلى تحوّلها لعاصمة للخلافة العثمانيّة الممتدّة في كلّ البلاد العربيّة تقريبا؛ ممّا يزيد من أسباب زيارتها من قبل الرحّالين العرب، فضلا عن الازدهار الكبير الذي شهدته القسطنطينية خلال حكم العثمانيّين.

ومن بين هؤلاء الرحّالين الذين تأكّدت زيارتهم للقسطنطينيّة رحّالة زارها في النصف الثاني من القرن 14م كما سيتّضح، وهو الرحّالة عبد الله بن الصبّاح الأندلسيّ، صاحب رحلة "نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار"، والتي تمّ تجاهلها أو نسيانها في كثير من البحوث التي درستْ مدينة القسطنطينيّة معتمدةً على أدب الرحلة العربيّ، فالباحث (بودانة، 2014 /2015) – مثلا – حاول أنْ يحصيَ الرحلات العربيّة التي تحدّث أصحابها عن القسطنطينيّة أثناء الحكم البيزنطيّ ويعتمد عليها في رسالته، غير أنّه توقّف عند رحلة ابن بطوطة الذي زار المدينة في النصف الأوّل من 14م، أمّا (عبد الخالق ، 2014، صفحة 257) فذكر أنّ رحلة ابن بطوطة كانت خاتمة الرحلات العربيّة الإسلامية قبل العهد العثمانيّ في الوطن العربيّ. والراجح أنّه قصد أنّها كانت خاتمة الرحلات العربية الإسلامية قبل فتح القسطنطينيّة، ولعلّه لم يطّلع على رحلة ابن الصّباح ... والأمثلة على تجاهل أو نسيان هذه الرحلة في هذا الموضوع بالذات كثيرة.

وقبل الانتقال للحديث عمّا جاء حول القسطنطينية في هذه الرحلة، وتسليط الضوء عليه، وجب أن نجيب على سؤالين مهمّين هما: من هو عبد الله بن الصباح؟ وماذا تضمّنت رحلته بشكل عامّ؟

4. عبد الله بن الصبّاح الأندلسيّ ورحلته:

1.4. عبد الله بن الصباح الأندلسيّ:

إنّ التعريف بعبد الله بن الصباح الأندلسيّ تعريفا معمَّقا ليس بالأمر اليسير، فهو – كما يذكر (شيخة، 1994، صفحة 36) – مؤلّف مغمور لا ينتسب إلى طبقة العلماء أو الفقهاء أو الأدباء، ولذلك فقد غاب اسمه عن كتب التراجم، فكانت كلّ المعلومات حوله مأخوذة من رحلته. ويزيد من صعوبة تعريفه ما جرى بين محقّقي رحلته من خلافات علميّة حول حياته.

ويمكن التأكيد ـ في البداية ـ على أنّ ابن الصبّاح قد وُلد بالأندلس؛ إذْ جاء في رحلته ما نصّه: "فصل في جزيرة الأندلس ووطن المؤلّف وموضع مسقط رأسه وتربيته وقبور والديه وأجداده من وقت فتح الأندلس" (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 4)، وقد ضيّق محقّق الرحلة "جمعة شيخة" النطاق فقال إنّ ابن الصبّاح من شرقي الأندلس دون تحديد؛ لأنّه يتكلّم الكتلانيّة، وكثيرا ما كانت هذه المنطقة حاضرة في تشبيهاته لمدن الشرق، والمؤكّد حسبه أنّ ابن الصبّاح مدجّن (ابن الصبّاح، 2011، صفحة ث، ج)، أمّا أصوله فتعود "إلى قبيلة عربيّة قحطانيّة من الجنوب، هي قبيلة الصبّاحين اليمنيّة" (شيخة، 1994، صفحة 36)، هذا ولا تفيدنا المصادر والمراجع بزمن دقيق لميلاد أو وفاة ابن الصبّاح، لكنّ ذكره لبعض الشخصيّات التي كانت حيّة عندما مرّ ببلدانها يؤكّد أنّه عاش في الفترة ما بين النصف الثاني من القرن 14م، والنصف الأوّل من القرن الذي يليه، ومن هذه الشخصيّات التي ذكرها شخصيّة السلطان العثمانيّ مراد الأوّل بن أورخان؛ إذْ ذكره ابن الصبّاح في معرض حديثه عن الأراضي التي يحكمها العثمانيون فقال: "... وهي تحت السلطان مراد بن الغازي أورخان" (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 48)، علمًا أنّ السلطان مراد– كما يذكر (كولن، 2014، صفحة 18) – قد حكم ما بين سنتي 1362م، و1389م، وعلما أنّ رحلة ابن الصبّاح – حسب تقدير محقّقها – قد دامت مدّة لا تقل عن العقدين (ابن الصبّاح، 2011، صفحة ز)، كما أنّه كتبها وهو ابن الستين إلى السبعين من عمره كما صرّح هو في رحلته (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 249).

هذا ويبدو ابن الصبّاح من خلال رحلته رجلا تقيًّا، متمسّكا بالإسلام، وإنْ كانت ثقافته الدينيّة متوسّطة كما أقرّ بذلك (شيخة، 1994، صفحة 36)، لكنّ ذلك - كما يظهر - لم يكن بسبب كسله؛ إذ إنّ البيئة التي نشأ فيها لم تكن معينةً له على التعلّم، فهو يعترِفُ في خاتمة رحلته أنّه لم يجد شيخا يعلّمه في الأندلس، فلجأ إلى النّسَخ والكتب التي لا تغني عن المعلّم شيئا (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 249)، ثمّ أضاف إلى ثقافته هذه معارفَ أخرى عند سفره؛ إذْ "صرّح بأنّه حفظ القرآن بمكّة ... وكان وهو في طريق الحجّ يغتنم الفرصة في أهمّ المدن الإسلاميّة التي مرّ بها للأخذ عن علماء عصره" (شيخة، 1994، صفحة 36)، لذلك فثقافته متوسّطة عموما، وجيّدة إذا ما قارنّاه بكثير من المدجّنين في عصره.

وبشكل عامّ فابن الصبّاح يُعدّ واحدا من كبار الرحّالين؛ نظرا للمسافات الطويلة التي قطعها طيلة عقدين من الزمن، والبلدان الكثيرة التي زارها وأقام فيها، ولولا ظروف نشأته، وظروف كتابته للرحلة، لكان قد أنتج رحلة توازي

في فائدتها وجمالها – أو تكاد – رحلة سابقه ابنِ بطوطةَ.

2.4. رحلة "نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار":

هي رحلة حجازيّة حقّقها أوّل الأمر محمّد بنشريفة سنة 2008م، لكنّ تحقيقَه نال نقدا لاذعا من قبل محقّقها الثاني شيخة جمعة، والذي أعاد تحقيق الرحلة ونشرها في مجلته "دراسات أندلسيّة" في ديسمبر 2011م، وقد فصّل هذا الأخير في مقدّمة تحقيقه أسباب سوء التحقيق الأوّل وصحّح كثيرا من أخطائه، وإنْ كان هو الآخر قد ذكر بعض التواريخ التي أبدينا حولها بعض التحفّظات التي نرى أنّ المقام غير مناسب للتفصيل فيها، وباستثناء هذه التحفظات فقد كان تحقيق شيخة جمعة جيّدا تبدو عليه علامات الدّقّة والحرص؛ وهو ما يجعلنا نطمئن إليه مع وضعنا في الاعتبار أنّ المخطوط المعتمَد في التحقيق – حسبما ذكر محقّقها شيخة جمعة – ليس أصليّا، بل هو من عمل النّسّاخ بعده (ابن الصبّاح، 2011، صفحة ش)، إضافة إلى ما استنتجه المحقّق المذكور من كون ابن الصبّاح قد كتب الرحلة كلّها من ذاكرته وبعد مرور سنوات من سفره (ابن الصبّاح، 2011، صفحة ر).

أمّا عن سبب تأليف الرحلة، فابن الصبّاح يذكُر أنّه ألّفها لأبناء وطنه من المدجّنين الذين انقطعوا عن العالم الإسلاميّ، فكان هدفه منها تعريفهم وتذكيرهم بأنّ الإسلام لا زال منتشرا، وأنّ أرض الله واسعة، وفي هذا يقول: "فاختصرنا هذه الرحلة في هذا الكتاب عبارا وإخبارا لهم بما في أرض الله من البلاد والعمائر والإسلام من أمة محمّد صلّى الله عليه وسلّم ..." (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 249).

هذا وقد افتتح عبد الله بن الصباح رحلته بوصف جزيرة الأندلس، ثمّ وصف غرناطة حاضرة بني الأحمر؛ الحاضرة الوحيدة التي كانت صامدة في الأندلس في ذلك الوقت، وانتقل بعد ذلك لشمال إفريقيّة فتحدّث عن كثير من مدنه مثل سبتة، ومراكش، وفاس، وتلمسان، ووهران، وتونس، وقسنطينة، وعنابة، وباجة، وطرابلس. وبعد هذه المدن انتقل لمصر، ثمّ إلى الحجاز، وبالتحديد إلى مكّة، فوصف الكعبة وعرَفَة، وأضاف إلى هذا الوصف رسوما توضيحيّة، كما تحدّث عن اليمن والطائف وبعض المزارات، ليزل بعدها إلى اليمن، وبلاد اليمامة، وأرض نجد، ثمّ إلى المدينة المنوّرة، ومنها خرج إلى الشام فوصف بيت المقدس، ومدينة الخليل، ليعبُر بعد ذلك إلى الحديث عن دمشق وسكّانها، ومنها إلى ديار بكر، ثمّ إلى بلاد الترك، فذكر بعض ما جرى له في القسطنطينيّة ـ وهو ما سنركّز عليه ـ، وتحدّث عن ملك بني عثمان مفتخرا بهم، وعن ملك سمرقند وبخارى، وعن بلاد فارس باختصار، وعن بلاد العراق بشيء من التفصيل، وقبل أن يختتم رحلته استطرد في ذكر بعض ما يعرِفُه عن القراءات السبع بأسلوب تعليميّ، ثمّ اختتم الرحلة.

أمّا عن مصادر ما جاء في رحلته، فالملاحَظُ أنّها تنوّعت بين المشاهدة العيانيّة للرحّالة نفسه، وبين استنتاجاته الخاصّة المأخوذة من ملاحظاته وتجاربه، وبين نقل أقوال من التقى بهم، وبين نقل ما جاء في بعض الذي قرأه من كتب ورحلات سابقة.

أمّا عن أسلوب كتابة ابن الصبّاح فقد قال عنه محقّق الرحلة: "لغته وما فيها من أخطاء، وأسلوبه وما فيه من تعثّر، واستطراداته

وما فيها من خلط، تجعله بعيدا كلّ البعد عن صفة الكاتب القدير والمؤلّف البصير" (شيخة، 1994، صفحة 36)، ولعلّ هذا الحكم حكمٌ قاسٍ؛ إذْ إنّ كثرة الأخطاء اللغوية في الرحلة لم يمنع وجود لمحات جماليّة، ولمسات سرديّة إبداعيّة مبثوثة في ثنايا الرحلة، كما أنّ الرحلة تستعيض عن ضعف اللغة، بالتشويق الذي يُحدثه تتالي المعلومات والأخبار المنتقاة حول الأماكن التي وطأها ابن الصبّاح.

ومن بين هذه الأماكن مدينة القسطنطينيّة، فما الذي ذكره ابن الصبّاح حولها؟ وما مدى صحّته؟

5. مدينة القسطنطينيّة في رحلة ابن الصبّاح الأندلسيّ:

1.5. زمن زيارته للقسطنطينيّة:

أقام ابن الصبّاح في القسطنطينيّة "خمسة عشر يوما" (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 218)، لكنّه لم يصرّح بتاريخ هذه الإقامة.

وبتتبع ما حوته رحلته من إشارات تاريخيّة أمكننا أنْ نجزِمَ أنّ إقامته في القسطنطينيّة كانت ضمن حدود سنتي 1363م و 1389م، وفيما يلي سنذكر مبرّرات هذا التحديد:

ـ لمّح ابن الصبّاح في أكثر من موضع في رحلته أنّه زار القسطنطينيّة والسلطان مراد الأوّل على عرش الإمبراطوريّة العثمانيّة، ومن ذلك قوله في معرض حديثه عن الأراضي العثمانيّة: "... وهي تحت السلطان مراد بن الغازي أورخان" (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 48)، وكذلك قوله في سياق حديثه عن أصول بني عثمان: "... ولذلك سَمّوا هذا الملك في هذا الزمان السلطان مراد" (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 218)، وسبق أن ذكرنا أنّ مراد الأوّل قد حكم ما بين سنتيْ 1362م و1389م.

ـ كما ذكر (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 218،219،223) أكثر من مرّة أنّ القسطنطينيّة كانت تدفع الجزية للسلطان العثمانيّ، والمعلوم – حسب (الصفصافي، 1999، صفحة 15) – أنّ دفْعَ الإمبراطور البيزنطي للجزية بدأ في سنة 1363م في عهد يوحنّا الخامس (John V).

وبهذا يتّضح أنّ ابن الصبّاح قد أقام في القسطنطينيّة خمسة عشر يوما بين سنتي 1363م، و1389م.

2.5. سبب زيارته للقسطنطينيّة:

ذكر (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 220) أنّه عرج للقسطنطينيّة لِما سمِعه عن وجود أثواب النبوءة في كنيسة من كنائس القسطنطينيّة، فقرّر الذهاب لرؤيتها، وقد كانت الكنيسة المقصودة هي كنيسة آيا صوفيا؛ معقل البيزنطيّين الأرثوذكسيّين وأشهر كنائسهم.

3.5. علاقة إمبراطور القسطنطينيّة بالسلطنة العثمانيّة:

تحدّث ابن الصبّاح في أكثر من موضع عن العلاقة التي تجمع أهالي القسطنطينيّة وإمبراطورها البيزنطيّ بالسلطنة العثمانيّة، وقد تراوحت المعلومات التي أوردها حول هذا الموضوع بين الدّقّة أحيانا، وبين مخالفة الشائع أحيانا أخرى، وفيما يلي تفصيل ذلك:

ـ ذكر (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 218، 219) أنّ الإمبراطور البيزنطيّ أعطى أخته إلى الملك الغازي أورخان والدِ السلطان مراد، وهي التي أنجبت بعد ذلك كلّا من مراد وإبراهيم وسليمان وخليل، ثمّ عاد (ابن الصبّاح، 2011،

صفحة 223) فأكّد الأمر حين ذكر أنّ القسطنطينيّة هي مدينة خال السلطان مراد.

غير أنّ هذه المعلومات ليست صحيحة بالمجمَل، فمراد الأوّل – حسب مختلف المراجع (كوندز و أوزتورك، 2008، صفحة 65) (كولن، 2014، صفحة 18) (PEIRCE, 1993, p. 34) – هو ابن "هولوفيرا" التي أخذت اسم "نيلوفر خاتون" بعد إسلامها، وهي ابنة والي مدينة "يار حصار" البيزنطيّ، وليست أختا للإمبراطور البيزنطيّ.

أمّا عن قضيّة زواج السلطان أورخان بأخت الإمبراطور البيزنطيّ فلم نجد لها ذكرا في مراجعنا، بل إنّ (كوندز و أوزتورك، 2008، صفحة 64، 65) و (ضبيع، 1999، صفحة 182) يذكرون أنّ أورخان قد تزوّج ابنة الإمبراطور البيزنطيّ، واسمها كان "ثيودورا" وهي أمّ الأمير خليل السابق الذكر.

لذلك فقول ابن الصبّاح بكون القسطنطينيّة مدينة خال السلطان مراد قول خاطئ، والراجح أنّ ابن الصبّاح لم يعلم بأنّ السلطان أورخان قد تزوّج أكثر من امرأة واحدة، كما أنّه سمع أو ظنّ بأنّ "ثيودورا" هي أخت الإمبراطور البيزنطيّ لا ابنته.

ـ ويبدو من خلال ما ذكره ابن الصبّاح أنّ القسطنطينيّة كانت شبه خاضعةٍ لحكم السلطان مراد؛ إذ ذكر (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 219) أنّ حكم الإمبراطور البيزنطيّ للقسطنطينيّة حتّى هذا الوقت لم يكن إلّا عطفا من السلطان مراد وأبنائه عليه، كونه صار صهرا للعائلة العثمانية الحاكمة، لكنّه مع ذلك كان يدفع الجزية هو وبلاده، وقد تحدّث (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 223) عن قيمة هذه الجزية وحددّها بأربعمائة فارس تُعطى كلّ سنة للسلطان مراد.

وبعيدا عن السبب الذي ذكره ابن الصبّاح؛ إذ إنّ أسباب عدم فتح القسطنطينيّة في ذاك الوقت كانت كثيرة، وبعيدا عن قيمة الجزية ومدى صحّتها، – بعيدا عن هذا وذاك – فابن الصبّاح كان محقّا في كون القسطنطينيّة في ذاك الوقت شبه خاضعة للحكم العثمانيّ، وأدلّة هذا الخضوع كثيرة منها ما ذكره (ضبيع، 1999، صفحة 184) حول المعاهدة التي جرت بين الإمبراطور يوحنّا الخامس، والسلطان العثمانيّ مراد سنة 1363م، ثمّ تلتها معاهدة 1372م، واللتين كانت نتيجتهما تعهّد الإمبراطور بدفع جزية سنوية للسلطان مراد، واعترافه بكون الأخير سيّدا له، بل ووجوبُ مساعدته عسكريّا عند الضرورة، بل إنّ ضعف البيزنطيّين وصل إلى الحدّ الذي جعل الإمبراطور يوحنّا الخامس يعترف بالديانة الكاثوليكيّة، طمعا في مساعدة الدول الغربية له، لكنّه لم ينل منها سوى الوعود الجوفاء. هذا وقد ذكر (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 219) مظهرا آخر من مظاهر سلطة العثمانيّين في المدينة حين ذكر أنّ السلطان مراد قد عيّن قاضيا مسلما في القسطنطينيّة ليفصل في منازعات اليونان وتجّار المسلمين في القسطنطينّة.

فالظاهر – من خلال ما سابق – أنّ العلاقة بين السلطنة العثمانيّة وأباطرة القسطنطينيّة في عهد مراد الأوّل، كانت علاقة تبعيّة؛ فلم يبق للأباطرة البيزنطيّين سوى ألقابهم، في حين أطلق العثمانيّون العنان لأنفسهم للتدخّل في القضايا الداخليّة والخارجيّة للمدينة.

4.5. خراب مدينة القسطنطينيّة:

يبدو أنّ المدينة التي سحرت ألباب زائريها في الماضي، فجعلتهم يصفونها بأروع الصفات، لم تؤثّر كثيرا في ابن الصبّاح.

فإذا عدنا لما يقارب القرنين من زمن ابن الصبّاح، سنجد الرحّالة (الهرويّ، 2002، صفحة 53) قد زار القسطنطينيّة في القرن 12م، وأبدى إعجابه الشديد بمعالمها، ووصفها بأنّها مدينة أكبر من اسمها على حدّ تعبيره. وفي الفترة نفسها تقريبا زار القسطنطينيّة أيضا الرحّالة اليهوديّ بنيامين التطيلي فوصفها وانبهر بما فيها من مبان وثروة حتّى أنّه قال:" ولانظير لهذه الثروة وهذه المباني في جميع العالم" (التطيلي، 2002، صفحة 222).

بعد هذا بنحو القرنين، نجد ابن الصبّاح لا يطنب في وصف القسطنطينيّة، ولا يبدي أيّ انبهار بما فيها، بل إنّه وصفها فقال: "... لكن اليوم الغالب عليها خراب، إلّا بقية بساتين وكرم وعنب ورمّان ..." (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 219)، فضلا عن ملاحظته لنقص مياه الشرب فيها؛ إذ إنّه غضب لمّا رأى أنّ أهلها من التجّار لا يعطون المسافر ماءً حتى يشتريَ من عندهم (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 219)، والملاحظة نفسها حول الخراب نجدها في الوصف السماعيّ لأبي الفداء الذي ذكر على لسان بعض من سافر إلى القسطنطينيّة أنّ بالمدينة خرابا كثيرا، وأنّ أكثر بُنيانها بالجانب الشرقيّ الشماليّ (أبو الفداء، 1850، صفحة 313)، أمّا بين هذا وذاك فقد زارها أيضا الرحالة المغربيّ ابن بطوطة في خريف سنة 1334م حسبما قدّره (إبراهيم ، 2019، صفحة 370)، فأشار (ابن بطوطة، 1987، صفحة 357) إلى القنطرة التي كانت تربط القسطنطينيّة بغلَطة وقال أنّها كانت موجودة وخُرّبت. فما سبب هذا الخراب والتغيّر الذي حلّ بالمدينة؟

إنّ السبب المباشر لهذا الخراب هو ما حاق بالقسطنطينيّة أثناء القرن 13م، ففي سنة 600هـ/1204م "استولت الفرنج على قسطنطينيّة ... وأزالوا الروم، ولم تزل بيد الفرنج إلى سنة ستين وستمائة (1261م)، فقصدتها الروم واستعادتها" (العُمري، د.ت، صفحة 125)، وقد كان هذا ضمن ما سُمّي بالحملة الصليبيّة الرابعة، والتي كانت حملة دمويّة مخرّبة بحقّ، وعن آثار هذا التدمير يقول (الصفصافي، 1999، صفحة 14): "وارتكب الصليبيّون في القسطنطينيّة التي أحرقوها، أبشع، وأقسى ضروب الوحشيّة والقسوة، فأمعنوا القتل، والتنكيل، وأعملوا السلب، وانتهكوا الحرمات، ودنّسوا الكنائس، وإقتحموها (كذا) بخيولهم، وإرتكبوا (كذا) فيها أحطّ الفواحش والمنكرات"، ويبدو أنّ القسطنطينيّة لم تستطع النهوض بعد ذلك، فبقيت فيها آثار التخريب، وما شهادةُ ابن الصبّاح على هذا الخراب إلّا دليل إضافيّ على ذلك، وقد بقيت القسطنطينيّة على هذه الحال إلى أن دخلها العثمانيّون، وأعادوا إعمارها لتصير بعد ذلك مأوى العالم، وأحد أعظم المدن في التاريخ.

5.5. معالم القسطنطينيّة:

لم يذكر ابن الصبّاح في رحلته الكثير من معالم القسطنطينيّة رغم بقائه فيها مدة 15 يومًا، فقد اكتفى بالحديث عمّا يلي من معالم:

1.5.5. قبر أبي أيوب الانصاريّ:

أشار (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 220) إشارة عابرة لوجود قبر أبي أيوب الأنصاريّ فيها، والراجح أنّه لم يزره؛ لأنّه لم يذكُر أيّا من تفصيلات الموقع أو المَعلَم.

2.5.5. سور القسطنطينيّة:

تحدّث (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 219، 220) عن السور المحيط بالقسطنطينيّة حديثا لم يأت فيه بجديد عمّن سبقه من الرحّالين، فالمعلومات نفسها ذكرها قبله (التطيلي، 2002، صفحة 219) من كون المدينة مثلّثة الشكل، ومن كون طول سورها مقاربا لـ 18 ميلا ، وابن الصبّاح بصفته سائحا من العامّة، فالراجح أنّ مصدره حول طول السّور كان إمّا سمعا عن العامّة من النّاس، وإمّا من خلال قراءاته لكتب سابقيه، فمعلوماته هذه لم تكُن دقيقةً ولا مفصَّلةً لهذه الأسباب.

3.5.5. كنيسة آيا صوفيا:

يمكن أن نستنتج من خلال ما رواه ابن الصبّاح حول كنيسة آيا صوفيا ما يلي:

ـ دخول آيا صوفيا، أشهر وأقدس كنائس القسطنطينيّة كان ممنوعا على المسلمين في تلك الفترة، وهذا الأمر لم يقتصر على ابن الصبّاح، فقد وجدنا (ابن بطوطة، 1987، الصفحات 358 - 359) قبله بسنوات قليلة يُمنع من الدخول إليها، لكنّ الاختلاف يكمن في أنّ رهبان آيا صوفيا اشترطوا على ابن بطوطة أنْ يسجد للصليب الأعظم حتى يدخلها، وهو ما رفضه ابن بطوطة جملة وتفصيلا، في حين أنّ (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 220، 221) لم يذكر وجود هذا الشرط أو الطقس، كما لم ينف وجوده، فقد قال أنّه استطاع دخول الكنيسة بالتحايل في صفة سريان أهل الشام من النّصارى.

ـ دخول آيا صوفيا كان مسموحًا للفرنجة أتباع الكنيسة الغربية الكاثوليكيّة في تلك الفترة؛ ذلك أنّ (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 220، 221) – حين روايته لما جرى له في آيا صوفيا - ذكر وجود إفرنج جنويّين داخلها، فمن هم هؤلاء الجنويّون؟ وكيف استطاعوا الدخول لآيا صوفيا معقل الأرثوذكسيّة، ومقرّ كرسي البطريركيّة المسكونية، وهم إفرنج كاثوليكيّون، رغم ما بين المذهبين من عداوة وحروب معروفة في تلك الفترة؟

سبق لابن بطوطة قبل سنوات من ابن الصباح أنْ لاحظ أنّ الجنويّين استوطنوا القسم المسمّى غلَطة، فذكر أنّ "هذا القسم خاصّ بنصارى الإفرنج يسكنونه، وهم أصناف، فمنهم الجنويون والبنادقة وأهل روميّة ..." (ابن بطوطة، 1987، صفحة 357)، كما انتبه ابن بطوطة إلى مُرُوق الإفرنج على امبراطور القسطنطينية من حين لآخر فقال: "وربما استعصوا عليه، فيحاربهم حتى يصلح بينهم البابا" (ابن بطوطة، 1987، صفحة 358)، وتؤكّد معظم المراجع هذا الأمر فـ (الصفصافي، 1999، صفحة 13) - مثلا - يذكر أنّ الأقليّات التابعة لإيطاليا، كالبندقية، وجنوة فرضت نفوذها على المدينة في تلك الفترة، بل وتجرؤوا على الأباطرة أنفسهم، ممّا جعل بينهم وبين البيزنطيّين في المدينة بغضا وحقدا.

أمّا عن سبب السماح للجنويّين بالدخول إلى الكنيسة، فكان – أوّلا – قوة نفوذهم داخل المدينة كما سبق القول، إضافة

إلى أنّ الامبراطور البيزنطيّ يوحنّا – وبفعل استفحال الخطر العثمانيّ – قرّر الذهاب إلى بابا الكنيسة الغربيّة، والاعتراف بمذهب اللاتين الكاثوليكيّ واعتناقه، وهذا ما حدث سنة 1369م حسبما ذكر (الصفصافي، 1999، صفحة 15)، وهذه الفترة موافقة لما يرويه ابن الصبّاح عن وجود الجنويّين داخل المدينة، فالمدينة صارت بشكل رسميّ بحتٍ تابعة للكنيسة الشرقيّة في روما، وهو ما يجعل من وجود اللاتين الغربيّين فيها أمرا جدّ منطقيّ.

- كما يمكن القول أنّ ابن الصبّاح لا يجد حرجا في نفسه من زيارة الكنائس ومزارات المسيحيّين، ورؤية كنوزها، بل إنّه يبدو قاصدا لها، ومصدّقا لما يقوله المسيحيّون حولها، وحكمنا هذا ليس مستنبطا من حديثه عن أثواب النبوءة في كنيسة آيا صوفيا فحسب (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 220، 221)، بل إنّنا وجدناه طيلة الرحلة يتحدّث عن كثير ممّا شابه هذه الكنوز والمزارات، دون أن يبدي أيّ نفور أو تشكيك في صحّة ما يُقال له، ومن الكنائس التي تحدّث عنها في رحلته – فضلا عن كنيسة آيا صوفيا ـ كنيسة صهيون التي قال إنّها "موضع نزول المائدة التي نزلت على عيسى فامتنع اليهود عن أكلها فمسخهم الله خنازير" (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 205).

4.5.5. تمثال جستنيان (Justinian):

بعد خروج ابن الصبّاح من آيا صوفيا وجد مَعلما آخر من أشهر معالم المدينة، وهو تمثال جستنيان. ومن القضايا التي يمكن مناقشتها حول حديث ابن الصبّاح عن هذا التمثال ما يلي:

ـ هذا التمثال كان واحدا من أبرز المعالم التي جذبت انتباه الرّحّالين العرب قبل ابن الصبّاح؛ فقد ذكره (ابن رسته، 1892، صفحة 125) نقلا عن هارون بن يحيى الذي شاهده إبّان القرن التاسع بعد الميلاد على الأرجح، كما شاهده (الهرويّ، 2002، صفحة 48) في القرن 12م وتحدّث عنه، إضافة إلى (أبو الفداء، 1850، صفحة 213) الذي ذكر التمثال سماعا عن غيره ممّن شاهده في أواخر القرن 13م أو أوائل القرن 14م.

ـ وصفُ (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 221) للتمثال جاء مقاربا لوصف سابقيه على العموم، باستثناء ذكره اخضرارَ التاج الموجود فوق رأس صاحب التمثال بفعل طول الزمن؛ إذ لم نجد من الرحالين العرب قبله من ذكر هذا التغيّر في لون التاجّ.

ـ نَسبَ (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 221) صورة هذا التمثال لقسطنطين بن هرقل؛ وقصد قسطنطين مؤسّس القسطنطينيّة، والغريب في الأمر أنّ معظم الرحلات العربيّة، وكتب الجغرافيا العربيّة قد نسبت هذا التمثال للشخص نفسه، فـ (الهرويّ، 2002، صفحة 48) و (أبو الفداء، 1850، صفحة 213) – على سبيل المثال – قد نسبا التمثال لقسطنطين ، ويمكن أن نستثني من هذه الكتب ما جاء في (ابن رسته، 1892، صفحة 125) على لسان هارون بن يحيى؛ إذ ذكر أنّ التمثال لاسطليانس؛ باني كنيسة آيا صوفيا، ولم نجد لهذا الاسم بهذا اللفظ إحالة تاريخيّة منطقيّة، إلّا أن يكون هارون قد قصد جستنيان، فقام بتعريب الاسم؛ لأنّ جستنيان كما يذكر كلّ من (RABY, 1987, p. 305) (الصفصافي، 1999، صفحة 32) (قادوس و

السيد، 2002، صفحة 299، 300) (Boeck, 2014, p. 14)، هو باني كنيسة آيا صوفيا على الطراز الذي كانت عليه في زمن هارون بن يحيى وحتى اليوم، إضافة إلى أنّ (المسعودي، 2005، صفحة 245) قد قام بتعريب اسم جستنيان فجعله "يوسطنياس"، وهو مقارب لاسم "اسطليانس" الذي ذكره هارون بن يحيى.

ونسبةُ ابن الصبّاح وغيره من الرحّالين والجغرافيّين العرب ـ ما عدا هارون بن يحيى ـ التمثالَ لقسطنطين أمرٌ غريب؛ لأنّ كثيرا من الرحالين الأوربيّين الذين زاروا القسطنطينيّة في زمن مقارب لابن الصبّاح ـ كما جاء في إحدى مقالات (شيحة، 2020، الصفحات 93-96) ـ قد نسبوه إلى جستنيان، كما أنّ أغلب البحوث الحديثة (Yoncaci-Arslan, 2014) (Boeck E. N., 2018, pp. 14, 15, 22 -28) (شيحة، 2020، الصفحات 93 - 96) (Boeck E. N., 2021) تذكر هذا التمثال باسم جستنيان.

وعلى أيّة حال، فالتمثال لم يعد موجودا اليوم؛ إذ تذكر (Boeck, 2014, p. 13) أنّ التمثال تم تدميره بعد احتلال العثمانيّين للقسطنطينية – على حدّ تعبيرها – سنة 1453م، وهو الأمر الذي نوافقه لعدّة اعتبارات، في حين ذكر (مانسيل، 2015، صفحة 325) أنّ الفرنسي بيير جيل (pierre Gilles) رأى بعينيه تمثال جستنيان محمولا إلى المسبك لصهره وجعله مدافع عثمانيّة، وهي رواية خالية – حسب اطلاعنا – من أيّ داعم أو دليل.

- هذا وقد كان تمثال جستنيان موجودا بالقرب من كنيسة آيا صوفيا، تماما كما ذكر (ابن الصبّاح، 2011، صفحة 221) (ينظر الملحق 2).

6. خاتمة:

بعد تقديمنا للمحة عن مدينة القسطنطينيّة، وعن ابن الصبّاح الأندلسي ورحلته، وبعد نقدنا لما جاء فيها حول مدينة القسطنطينيّة، يمكن – ها هنا – أن نوجز أهمّ ما تمّ التوصّل إليه فيما يلي من نقاط:

ـ كان دخول الرحالين العرب القسطنطينيّة قبل فتحها قليلا جدّا مقارنةً بعدد الراحلين إليها بعد الفتح العثمانيّ.

ـ ابن الصبّاح أندلسيّ مدجّن يمنيّ الأصول، تقيّ، متوسّط الثقافة أو التعلّم، عاش في حدود النصف الثاني من القرن 14م، والنصف الأوّل من القرن الذي يليه، وهو واحد من أكثر الرّحالين العرب قطعا للمسافات.

ـ أمّا عن رحلته، فهي ثريّة المضمون، وذات أسلوب لغويّ متينٍ وجميل أحيانا، وهشٍّ في أحيان أخرى.

ـ تمّ تحقيق الرحلة مرّتين؛ التحقيق الأوّل كان سنة 2008م، أمّا الثاني فكان سنة 2011م، وهذا الأخير أفضل بكثير وأقرب للدقّة.

ـ ما ذكره ابن الصبّاح حول مدينة القسطنطينيّة بعد أن شاهده عيانا كان دقيقا في الغالب، في حين أنّ المضامين السماعيّة، أو المنقولة عن غيره، أو المستنتَجة من قبله شابها النّقص أو الخطأ في أغلب الأحيان.

ـ كانت القسطنطينيّة خلال النصف الثاني من القرن 14م كالواقف على جرف هارٍ، وهو ما لاحظه ابن الصبّاح، وقام بذكره في رحلته؛ فالخراب منتشر فيها، والجنويّون المقيمون فيها مارقون عن الإمبراطور البيزنطيّ، وهذا الأخير خاضع خضوعا شبه تامّ للسلطان

مراد الأوّل، وهو جعل القسطنطينيّة مفتوحة للمسلمين الراغبين في الدخول إليها.

ـ لم يطنب ابن الصبّاح في وصف معالم القسطنطينيّة، باستثناء حديثه عن كنيسة آيا صوفيا التي أشار إلى كونها ممنوعة على المسلمين، مسموحةٌ للكاثوليكيّين الجنويّين، كما تحدّث ابن الصبّاح عن تمثال "جستنيان" المجاور لآيا صوفيا، والذي نسبه خطأً لقسطنطين بن هرقل، سيرًا على الخطأ الذي ارتكبه أغلب الجغرافيّين والرّحالين العرب قبله.

هذا وتبقى رحلة ابن الصبّاح مفتوحة على دراسات أخرى مشابهة، نظرا لاحتوائها على كمّ كبير من المضامين الأدبية والتاريخيّة والاجتماعيّة المتعلِّقة بمختلف المناطق التي زارها ابن الصبّاح وتحدّث عنها في رحلته.

7. قائمة المصادر والمراجع:

1ـ إبراهيم عبد الله، (ربيع، 2019م)، الارتحال والتسامح (القسطنطينيّة في أعين الرحالة العرب)، مجلة التفاهم، السنة 17. الصفحات 367 – 392.

2ـ إسماعيل ليلى عبد الجواد، (جانفي 1989م)، القسطنطينية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين، مجلة المؤرخ المصري، (3)، الصفحات 151 - 202.

3ـ ابن بطوطة، محمّد بن عبد الله، (1987م)، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق وتقديم: العريان محمد عبد المنعم، مراجعة وفهرسة: القصاص مصطفى، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان.

4ـ بودانة، وليد، (2014 /2015م)، مدينة القسطنطينية من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين العرب الفترة ما بين القرن الثالث إلى منتصف القرن التاسع الهجري (ق9 إلى منتصف ق15م)، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، الجمهورية الجزائريّة.

5ـ التطيلي، بنيامين، (2002م)، رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة: عزار حداد، دراسة وتقديم: عبد الرحمن عبد الله، المجمّع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات.

6ـ ابن رسته، أبو عليّ أحمد بن عمر، (1892م)، الأعلاق النفيسة، تحقيق: مايكل جان دي جويه، المجلد 7، مطبعة بريا أو بريل، ليدن، هولندا.

7ـ الرواضيّة، المهدي عيد، (جوان وجويلية 2006م)، الرحلة إلى القسطنطينية: الأسباب والدوافع، مجلة العرب، 41 (11 و12)، دار اليمامة للبحث والنشر والوزيع، الرياض، السعوديّة، الصفحات 878 – 895.

8ـ الزُهريّ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، (د.ت)، كتاب الجغرافية، تحقيق: صادق محمّد حاج، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، مصر.

9ـ الشويخات، أحمد مهدي محمد، وآخرون، (1999م)، الموسوعة العربية العالمية، المجلد 1، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

10ـ شيحة، نجلاء مصطفى، (أكتوبر 2020م)، رؤية الأسير الألماني يوهان شيلتبرغر لمدينة القسطنطينية في القرن الخامس عشر، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، 5 (9)، الصفحات 82 – 143.

11ـ شيخة، جمعة، (جوان 1994م)، بعض المظاهر الدينيّة في رحلة عبد الله بن الصبّاح الأندلسيّ، مجلة دراسات أندلسية، (12)، مطبعة المغاربيّة للطباعة والنشر والإشهار، تونس، الجمهوريّة التونسيّة، الصفحات 36 – 44.

12ـ ابن الصبّاح، الحاج عبد الله الأندلسي، (ديسمبر2011م)، نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار، تحقيق: شيخة جمعة، مجلّة دراسات أندلسيّة، (45–46)، مطبعة المغاربيّة للطباعة والنشر والإشهار، تونس، الجمهوريّة التونسيّة.

13ـ الصفصافي، أحمد المرسي، (1999م)، إستانبول عبق التاريخ .. وروعة الحضارة، ط1، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، مصر.

14ـ ضبيع، صلاح، (شتاء وربيع، 1999م)، العلاقات العثمانية البيزنطيّة، مجلة الاجتهاد، السنة 11، الصفحات 177-192.

15ـ عبد الخالق، غسان إسماعيل، (30-09-2014م)، صورة القدس في أدب الرحلة ابن بطوطة أنموذجا، فصل الخطاب، 3 (3)، الصفحات 255 – 264.

16ـ العُمري، ابن فضل الله، (د.ت)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: النجم مهدي، إشراف: الجبوري كامل سلمان، الجزء 27، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.

17ـ أبو الفداء، عماد الدين بن محمّد، (1850م)، تقويم البلدان، تصحيح وطباعة: وينود، وماك كوكين ديسلان، طبعة دار الطباعة السلطانية بباريس، دار صادر، بيروت، لبنان.

18ـ قادوس، عزت زكي حامد، والسيّد، محمد عبد الفتاح، (2002م)، الآثار القبطية والبيزنطية، ط2، المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية، مصر.

19ـ كولَن، صالح، (2014م)، سلاطين الدولة العثمانية، ترجمة: جمال الدين منى، تحرير: أشيوك أجير، مراجعة: الدباغ أديب، ونعمة الله بهاء الدين، ط1، دار النيل، القاهرة، مصر.

20ـ كوندز، أحمد آق، وأوزتورك، سعيد، (2008م)، الدولة العثمانيّة المجهولة، وقف البحوث العثمانيّة، إسطنبول، تركيا.

21ـ لويس، برنارد، (1982م)، استنبول وحضارة الخلافة الإسلاميّة، ترجمة: رضوان سيّد عليّ، ط2، الدار السعوديّة للنشر والتوزيع، جدّة، السعوديّة.

22ـ مانسيل، فيليب، (2015م)، القسطنطينية المدينة التي اشتهاها العالم 1453 ـ 1924م، ترجمة: مصطفى محمّد قاسم، الجزء 1، عالم المعرفة، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

23ـ المسعودي، أبو الحسن بن علي، (2005م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، عناية ومراجعة: مرعي كمال حسن، المجلد 1، ط1، المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان.

24ـ الهرويّ، أبو الحسن عليّ بن أبي بكر، (2002م)، الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق: عمر عليّ، ط1، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، مصر.

25- Boeck, E. N, (2014), JUSTINIAN'S COLUMN AND HISTORICAL MEMORY OF CONSTANTINOLE IN THE VATICAN MANASSES MANUSCRIPT, M. Panov (Ed.), Proceedings of the International

27- PEIRCE, L. P, (1993), THE IMPERIAL HAREM Women and Sovereignty in the Ottoman Empire, (B. LEWIS, I. RABINOVICH, & R. SAVORY, Eds.), OXFORD UNIVERSITY PRESS, New York, USA.

28- RABY, J, (1987 FALL), Mehmed the Conqueror and the Equestrian Statue of the Augustaion, Illinois Classical Studies, 12 (2), pp. 305-313. Retrieved from: https://www.jstor.org/stable/23064044

29- Yoncaci-Arslan, P, (2018), REGISTRARS OF URBAN MOVEMENT IN CONSTANTINOPLE: MONUMENTAL COLUMNS AND THE MESE, ANNUAL OF ISTANBUL STUDIES / İSTANBUL ARAŞTIRMALARI YILLIĞI, 7, pp. 7-29. Retrieved from:

https://www.academia.edu/39015282/Registrars_of_Urban_Movement_in_Constantinople_Monumental_Columns_and_the_Mese

Symposium "Days of Justinian I" Skopje, 18-19 October 2013, Euro-Balkan University, Skopje, pp.13-22. Retrieved from:

https://www.academia.edu/10870700/Justinians_Column_and_Historical_Memory_of_Constantinople_in_the_Vatican_Manasses_Manuscript

26- Boeck, E. N, (2021), the Bronze Horseman of Justinian in Constantinople, Cambridge University Press, Cambridge, United Kingdom, doi:10.1017/9781108178341, pp. we could only see: the introduction pages, the index, and other introductory pages, Retrieved from:

https://www.cambridge.org/dz/academic/subjects/history/european-history-450-1000/bronze-horseman-justinian-constantinople-cross cultural-biography-mediterranean monument?format=HB&isbn=9781107197275

8. ملاحق:

الملحق (1): الرحلات العربيّة التي ذكر فيها أصحابها القسطنطينيّة بعد أن دخلوها فعليّا		
الرّحّالة	**عنوان الرحلة**	**فترة الزيارة**
أبو الحسن الهرويّ	الإشارات إلى معرفة الزيارات	أثناء الحكم البيزنطيّ للقسطنطينيّة
ابن بطوطة	تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار	
ابن الصبّاح الأندلسيّ	نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار	
حافظ الدين القدسيّ	أسفار الأسفار وأبكار الأفكار	أثناء الحكم العثمانيّ للقسطنطينيّة
أبو الثناء الآلوسيّ	نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول ونشوة المدام في العود إلى مدينة السلام	
أبو الثناء الآلوسيّ	غرائب الاغتراب ونزهة الألباب	
فضل الله الدمشقيّ	الرحلة الرومية الثانية" (مخطوط)	
مصطفى البكري الصديقي	رحلة إلى ديار الروم	
بدر الدين الغزّيّ	المطالع البدريّة في المنازل الروميّة	
محمّد الموسويّ (كبريت)	رحلة الشتاء والصيف	
إبراهيم الخياريّ	تحفة الأدباء وسلوة الغرباء	
محبّ الدين الحمويّ	بوادي الدموع العندمية بوادي الديار الروميّة	
عليّ بن محمّد التمكروتيّ	النفحة المسكيّة في السفارة التركيّة	
أبو القاسم الزيانيّ	الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برّا وبحرا	
محمّد بن عليّ البروسويّ	أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك	
طه الكردي الباليسانيّ	رحلة طه الكردي الباليساني في العراق وبلاد الشام والأناضول ومصر والحجاز	
يوسف بن إليان سركيس	أنس الآثار في أشهر الأمصار	
محمّد المكناسيّ	رحلة المكناسيّ (إحراز المعلّى والرقيب ...)	
أحمد اللحافيّ	رحلة اللحافي البغدادي من بغداد إلى القسطنطينيّة	
محمّد بن مصطفى خزندار	الباكورة الشهية في بيان القسطنطينيّة	
محمّد السنوسيّ	الرحلة الحجازيّة	
أوغسطين البستاني الديراني	الكوكب السيار، رحلة ماري إلياس بطرس الحويك	أثناء الحكم العثمانيّ للقسطنطينيّة
محمّد عيّاد الطّنطاوي	تحفة الأذكياء بأخبار بلاد الروسيا	
محمّد بن الحسين الكبسي	رحلة أعيان اليمن إلى إستنبول	
نجيب حسين الجند	منظر أوروبا العجيب وملخص رحلات نجيب	
محمّد بيرم الخامس	صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار	
محمّد توفيق البكري	صهاريج اللؤلؤ	
جرجي زيدان	رحلات جرجي زيدان إلى الآستانة	
محمد رشيد رضا	رحلة إلى القسطنطينيّة	
محمّد الخضر حسين	خلاصة الرحلة الشرقيّة	

محمد بن يحيى الصقليّ	الرحلة المشرقية	بعد سقوط الخلافة العثمانيّة
توفيق حبيب	رحلة إكسبرس من إسكندرية وإستامبول مع المستر أتول	
علي بدر	خرائط منتصف الليل	
عبد الوهاب محمّد إسماعيل العمراني	رؤية يمنيّة في أدب الرحلات مشاهدات وانطباعات من الشرق والغرب	
علي عبد الله إبراهيم الأنصاريّ	على ضفاف البوسفور	
المصدر : من إعداد المؤلّفيْن		

الملحق (2): تخطيط تقريبيّ لتمثال جستنيان وموقعه من كنيسة آيا صوفيا

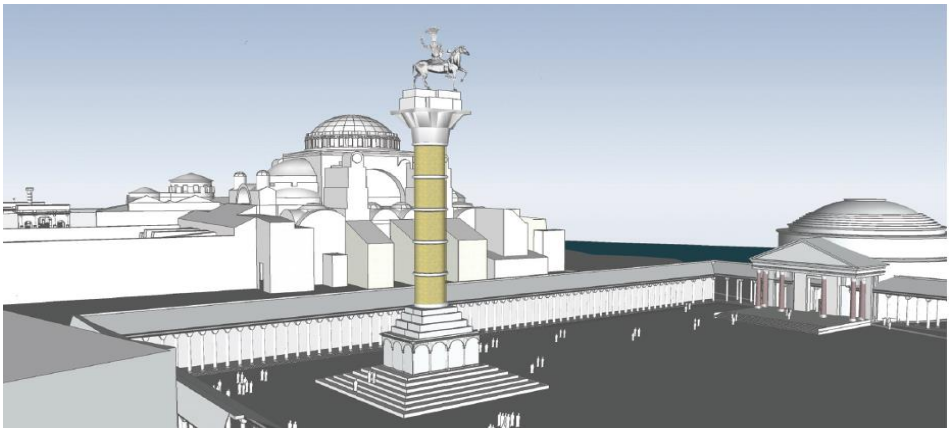

المصدر : (Yoncaci-Arslan, 2018, p. 28)